المعجم الديني في شعر سيدي لخضر بن خلوف.

أ. مختارية بن قبلية.
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم.

يرتكز الأدب الشعبي بمختلف أشكاله على لغة خاصة هي من صلب الحياة اليومة للمجتمع، إنّها اللغة العامية التي "يستعين بها كما هي، أي على حالتها السائدة بين الناس في ذلك العصر وفي تلك البيئة."[1] وتتميّز هذه الأخيرة عن الفصحى بكونها "أصدق تعبيرا عن رغبة المجتمع، وأدق إفصاحا عن حاجته، وفي الوقت نفسه، تعجز عن أن تكون أداة تحصيل العلوم ونشرها."[2] بعكس اللغة الفصحى التي تناسب مجالات العلم والمعرفة، وترقى في مجال الأدب لتخاطب أصحاب الثقافة العالية.

إنّ المتمعن في الخطاب الشعري الشعبي سيكتشف حتما انقسامه إلى نوعين مختلفين من حيث اللغة المستعملة؛ فالأول قريب من عامة الناس بلغته البسيطة التلقائية، والثاني راق قريب من عامة الناس وخواصهم لما فيه من مزيج بين العامي والفصيح، وهو نوع لا يُلقيه سوى المثقف القريب من أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه، فيعيش مآسيهم وأفراحهم، ويدرك محاسنهم وعيوبهم، لذلك يخاطبهم بلغة تناسب صغيرهم وكبيرهم، ومثقفهم وجاهلهم... وهذا تماما ما يفعله الشاعر سيدي لخضر بن خلوف الذي لم يكتف بحبه للرسول صلى الله عليه وسلم، بل راح ينقل مشاعره ولذته بحب المصطفى

إلى مسامع كل المحيطين به، ليشاركوه حياته الروحية بالقرب من المولى عزّ وجلّ.

إنّ هذا الطابع الحياتي للشاعر سيدي لخضر بن خلوف هو الذي جعله ينهل من المعجم القرآني والسني دون تكلّف أو مباغة، وهذا ما جعلني أركّز الحديث عن المعجم الديني الذي طغى بشكل واضح على قصائد الشيخ، كيف لا وهو المتصوّف المجاهد الذي لا ينطق لسانه إلا مناجيا لله عز وجلّ، أو مادحا للنّبي صلى الله عليه وسلم وأهله وصحبه عليهم رضوان الله، أو افتخارا بعقيدته وجهاده ووطنه.

لا تشير الألفاظ الدينية في شعر الشيخ إلى تصوّفه –وحسب– بل تلعب دورا تعليميا دعويا هاما، فتجعل من تلك النصوص الشعرية نصوصا إصلاحيّة، ولعل المتمعّن فيها سينتبه إلى أنّ معظمها موظّف لخدمة مبادئ الدّين الحنيف، من توحيد وإيمان وجهاد وذكر... وهي في غالبها منتقاة من المعجم القرآني والسنّي –كما سبق أن ذكرت– وبعضها نابع من مخيّلة الشاعر الذي لا يتوانى عن خلق الأوصاف وإلحاقها بالرسول صلّى الله عليه وسلم. تلك المخيلة التي تشكلت عنده من "محبة لا مثيل لها للنبي محمد وصحابته وآل بيته، فلزم الدعاء والتضرع لله تعالى والتقرب إليه بالصلوات والذكر راغبا رؤية لا بعدها رؤية في وجه الحبيب." (3)

يغلب المعجم القرآني على شعر سيدي لخضر بن خلوف مثله مثل أيّ شاعر صوفي، لذلك نجده يستنبط من الآيات الكريمة بطرق شتّى، فأحيانا يختصر وأحيانا يستطرد وأحيانا أخرى يوظّفها كما هي، "هو إذا مجال فسيح للتفاعل مع القرآن، فهو يعطي بدون انقطاع، ويمكّن أهل الفهم من أن

يستخرجوا ما شاؤوا أن يستخرجوه من معانٍ،بعد أن يعملوا به." [4] فها هو لخضر بن خلوف يستنبط من سورة الإخلاص قصد تبيان فضلها الذي يجعلها تعادل ثلث القرآن لما تحويه من معاني التوحيد وهو ركيزة الدين الحنيف.

منور الآفــاق بالوقـــــــــاد أنا تكلي على قــل هو الله
من خصّص المرسلين الأحــد الله بنعم الآيات والرّشـــــاد
الصّمد لم يلـــد الواحـــــد الله ولم يكن له كفؤا أحـــد[5]
سبحانه الجليل الــفردُ الصمـــد لم يــلـــد ولم يــولــد
ولم يـــكــن له كفـــؤا أحــد أنـــت العزيز يا محمد[6]

ولا ينسى الشاعر فضل المعوذتين على المسلم الذي إذا خاف فتنة إبليس وذريّته لجأ إلى قراءتهما:

إذا كـــان ابليس عبرة عندي حيّا ولا نــراه
أعـــــوذ بالله نقــرا نختم بالقرآن فـــاه[7]

ويستنبط من سورة الصافات:

يا عابد إذا بنيت ما يبقــى بنيــان حيطانــك تمــســـى اخــراب
وانتايا لابد من ليلـــة لكــفـــان عظمك يـــرشى على التـــراب
دير بالآية وجانب طريق العصيان وانظــر مــا قـــال فالكتــاب
الدنــيـــا خــيــمـــة الخـــدع إنّ الجنّة حقّـــيق لأهل الأرشاد
وأهـــــل الزقّـــوم واللــّفــع منازلهم في الجحيم نار الأصفاد[8]

التراب والعظام والزقوم والجحيم بالإضافة إلى معنى الموت في لفظة الأكفان وكذلك معاني العصيان؛ كلها متواجدة في قوله تعالى: "أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ 53 قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ 54 فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء

الْجَحِيمِ 55 قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ 56 ولَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ 57 أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ 58 إِلاّ مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ 59 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ 60 لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ61 أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ 62 إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ 63 إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ 64"[9]

يصرح الشاعر في تلك الأبيات بأنّه استنبط معانيها وأخذ أهمّ ألفاظها من سورة معيّنة من القرآن الكريم، ويدعو المتلقي إلى اكتشافها بمفرده حين يقول "دير بالآية" ويقول "وانظر ما قال فالكتاب".

ويستنبط أيضا:

خايف يا القرشي في نهار الرّحلة يوم الصبي ما يعقل خوه من باباه[10]

من قوله تعالى: "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ 34 وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ 35 وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ36"[11]

ويقول:

يا نفسي يا الخاينة توبي للمولى هذا الدنيا الغرور يجزينا منها[12]

وفي ذلك إشارة إلى ضعف النفس البشرية أمام شهوات الدنيا الغرور، وسهولة استسلامها للشّر، وصعوبة انسياقها للخير، لقوله تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا 7 فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا 8"[13] وهذا ما يتطلّب مجاهدة للنفس، فالمسلم يؤمن "بأنّ سعادته في كلتا حياتيه: الأولى، والثانية، موقوفة على مدى تأديب نفسه، وتطييبها، وتزكيتها، وتطهيرها، كما أنّ شقاءها منوط بفسادها، وتدسيتها وخبثها." [14] ذلك أنّها "أولى من يؤدب، فيأخذها بالآداب المزكية لها والمطهرة لأدرانها، كما يجنبها كل ما يدسيها، ويفسدها من سيء

المعتقدات، وفاسد الأقوال والأفعال، يجاهدها ليل نهار، ويحاسبها في كل ساعة، ويحملها على فعل الخيرات، ويدفعها إلى الطاعة دفعا، كما يصرفها عن الشر والفساد صرفا ويردها عنهما ردا." [15] وهذا تماما ما يقصده سيدي لخضر بن خلوف حين يخاطب نفسه ويأمرها بالتوبة وما تقتضيه من أفعال أساسُها "التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي، والندم على كل ذنب سالف، والعزم على عدم العودة إلى الذنب في مُقبل العمر." [16]

وفي الشطر الثاني من البيت، يحذّر الشاعر نفسه من الدنيا الغرور، فيذكّرها بقِصر عمرها، مستنبطا ألفاظه (نفس، الدنيا، الغرور) من قوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ." [17]

وحين يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يذكره بأسماء وأوصاف مختلفة، ويذهب في كثير من الأحيان إلى ذكره بجانب أقوام وقبائل وردت أسماؤها في الكتاب الحكيم، فيربطه بالمهاجرين والأنصار مثلما ارتبطت مسيرته الشريفة بتلك الهجرة المباركة، حيث يقول:

من صفّاه جوف وقبلة سيد المهاجرين والأنصار [18]

هؤلاء قال فيهم جل جلاله: "وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ." [19]

وفي موضع آخر، يذكر الشاعر نبينا الكريم في مقابل آل فرعون، ليقص لنا قصة تاريخية لا تعرف حدا زمانيا ولا مكانيا، ليجعل المتلقي في حيرة تتملكه للحظات، إلى أن تتجلّى له الحقيقة التي توصّل إليها المتصوفة؛

إنّها "الحقيقة المحمدية التي أصبحت نظرية قائمة بذاتها، حاولوا فيها أن يفصلوا بين الوجود الجسدي للنبي (الوجود الزمني) والوجود المعنوي له (الوجود المطلق)، ويرون أنّ حقيقة الرسول مطلقة ليست مرتبطة بزمن، فهو أول خلق الله وآخر رسله، وأزلية الحقيقة المحمدية هي التي يستمد منها الأنبياء والأولياء في كل زمان ومكان." [20]

يقول الشاعر لخضر بن خلوف:

وهزمت قوم فرعــون ذي الأوتاد واشهــرت بسيـــوف امهنــّد
وخليت من جيوش الشيطان بــلاد أنـــت العزيـــز يا محمد[21]

هذه هي الطريقة التي اختارها الشاعر للتعبير عن وحدة الرسالة السماوية التي جاهد من أجلها الرسل والأنبياء لتصل في النهاية إلى خاتمهم عليه أفضل الصلوات والتسليم، إنّه خطاب تحدّث فيه صاحبه عن قوم قريش بذكر محمد صلى الله عليه، وعن سيدنا موسى بذكر آل فرعون، حينها اتحدت الأشخاص والأقوام كما اتحدت الرسالات السماوية.

تتمحور جُلّ قصائد الشاعر حول مدح الرسول صلّى الله عليه وسلم، لذلك لُقّب بمدّاح الرسول، وهذا ما جعله يستخرج كل ما في ذاكرته من ألفاظ دالة عن شخصه –عليه الصلاة والسلام– فيذكره بأسمائه وأوصافه وخصاله، وينسبه إلى أصله وقومه ومرضعته، بل ويذكره حتى بذرّيته، فيقول:

دخــيلــك بفاطمة مع باباهــا وزوجها حيدرة اعطاه الهادي
لحسن والحسين نعــم ولادهــا بنت المصطفى الرّسول محمد[22]

ويناديه:

بيك يعلا راسي يا تــاج كل أمــير يا بن سعدية يا سيد فاطمــة[23]

ويقول:

شفيع الخلق بو رقيــّة البارح في المنام ريت العدناني[24]

هكذا يمتد حب الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم لمسّ أهل بيته الكرام وكل من هو قريب منه، عملا بالوصية التي تركها أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفا عليه أنّه قال، ارقبوا محمّدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته. رواه البخاري. معنى ارقبوا: راعوه واحترموه وأكرموه، والله أعلم." [25]

وكثيرا ما يبحر الشاعر في خياله ليراه بطريقته الخاصة فيقول:

يقال فيك أنــت الربوة لو كانت الأكوان جبال

يقال فيك أنــت الذروة لو كانت الأكوان جمال

يُقال فيك أنت العــلوة لو كانت الأكوان اعمال

مفروز ما مثلك شهدة[26] لو كانت الأكوان شهــد

وفي موضع آخر؛ يختار لذكره أفعالا منسوبة إلى الله عز وجل ليوضح تلك العلاقة المتينة بين الخالق وخير خلقه فيقول:

اختارك الجلــيل وعـــزّك وارضاك واصطــفاك علينا

واختارنا عرب من جنســك يا فــارس الوْغــى نبـــينا[27]

ويسميه كما سماه الله تعالى في الآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا (2)" [28] فيقول:

اغفر لي ما مضى بغافر التــنزيل واصلح لي ما ابقى بفضل المزمّل[29]

ويأخذ من المعجم الديني المزيد من الألفاظ، فيسميه بخصاله الطيّبة وبمهامه التي بُعِث بها للبشرية، فهو النذير والمختار والصادق والشفيع والهادي وطيب الأخلاق والطاهر والرشيد وتاج المرسلين...فيقول:

في تاج المرسلين عاشق يا لخوان ما دام الدهـــر طول عمـــــري
حب أحمد في الحشا مصادقني كيّة نطلب ربي يكـــــون جـــاري[30]

ويقول:

محمد النذير القـــــــــرشي سيـــد العـــبـــــاد لـــولا أنت[31]

ويقول أيضا:

والصلاة على نبينا المختار سيـــــد العـــباد بن عـــبد الله[32]

وأيضا:

يا سعدنا جميع بالرسول الصادق محمـــدّ الشفيـــع باسمـــو نزهـــاوا
نور البها سطيع من جبينو شارق من حُسنه البديع الرّاوييـــن ارواوا
أتيت يا الهادي مبعوث الـــخالق في حرمك الرفيع الواصلين اسعاوا
....

يا طيب لخلاق بيك هاذ الأمّة تنجى من الحراق في رضا الغفار
يا خير الأنام يا حبيب المولى يا سيد الكرام عليـــك صلّى الله[33]

وفي موضع آخر:

على الطاهر الرشيد سيد بن آدم يا سيدي قول لي مرتاح
....
الصلاة والسلام على إمام الرسلا في الحشر والقيام كلها ترجـــاه[34]

إضافة إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، يعطي الشاعر لأشخاص القصص القرآني والسيرة النبوية الشريفة حيزا كبيرا في قصائده، بل يحشدها حشدا، وكأنّه يخشى أن ينسى أحدا من الأنبياء والرسل أو الملائكة أو الصحابة الكرام، فيتحدّث عن نفسه حين يحكي عن والدته قائلا:

ربّات ولد بيه ارتحـــــمت مدّاح سيد نوح وحـــــــمزة[35]

ويطلب المغفرة من الله الواحد الذي غفر لآدم وحواء قائلا:

يا من حـــق لا إله إلاّ هـــو اغفر ذنبي بتوبة آدم وحواء[36]

ويحشد مجموعة من الأسماء في قوله:

في حمّالة العرش الثمانـــيـــة ارحم يوم نزور قـــبري

استنباطا من قوله تعالى: "وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ"[37] ثمّ يواصل:

....

في حق المصطفى وسيدنا جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل

وإبراهيم وإسحاق وإسماعـــــيل وبيـــــعقـــوب والمـــــاواري

سيدنا يوسف من خيار الأصـــــفيا وابن عـــــمـــــران يا الباري

وبعيسى المســـيح وزكـــــــريـــا ارحم يـــــوم نزور قبري[38]

وفي ذلك ذكر وترتيب لا طالما ألفناه في آيات قرآنية كثيرة، كقوله تعالى: "قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ ومَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ومَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والأسْبَاطِ ومَا أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى ومَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[39]

أما مخاطبة الشاعر لله عزّ وجل فلها طعم آخر، حين يناجيه ويدعوه علنًا على مسامع متلقي شعره الذين يشاركونه الاهتمام نفسه، فيكون بذلك قد حقق شيئا من مبتغاه، ونال الوعد الذي أعطاه الله عزّ وجل لعابده على لسان نبيه الكريم: (عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يقول الله تعالى، أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم." متفق عليه.) [40]

يستعين الشاعر في تواصله مع خالقه بما تسنى له من الأسماء الحسنى وكذا الأوصاف التي يستلهمها من حاجته وتقرّبه من خالقه، وذلك عملا بقوله تعالى: "وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا." [41] لذلك نجده يختار لكل سياق ما يناسبه، فيذكر الرازق إذا طلب الرزق، والكريم إذا طمع في كرم الله وهلم جرّا، وعن ذلك يقول فخر الدين الرازي: "العبد الفقير محتاج، والفقير المحتاج إذا نادى مخدومه بخطاب يناسب الطلب والسؤال كان ذلك محمولا على السؤال، فإذا قال الفقير للغني يا كريم كان معناه أكرم وإذا قال له يا نفاع كان معناه طلب النفع، وإذا قال يا رحمن كان معناه ارحم، فكانت هذه الأذكار جارية مجرى السؤال." [42]

يقول الشاعر:

توب للّي خلقك وانشاك بالثوب اكساك باللّحم والدمّ سقاك زكي قادر[43]

فذكر القادر مناسب لذكر الخلق وهو من أعظم المعجزات، والبيت مستنبط من قوله تعالى: "وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير." [44]

ويتحدّث عن الوجود والعبادة فيقول:

انت الموجود دلني بيك وعليك انت المعبود والعبادة إلاّ ليك[45]

ويطلب ستر العيوب فيدعو الستار:

استر يا ستار عيـــــــــــبي لا نضحى للناس عَجبا[46]

لكن الشاعر يتخلى أحيانا عن السياق المقامي ليكثر من الأسماء مما يناسب السياق الموسيقي، أما السبب الرئيس فلا يكمُن في المظهر الخارجي للقصيدة، بل هو نوع من التعبد والتقرب من الله جل جلاله عن طريق التنويع في ذكر أسمائه التي "من حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، واعتقدها دخل الجنة. والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، فعُلم أنّ ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان، وقوته وثباته." [47]

إذا فعدم مناسبة أسماء الله الحسنى للسياق أحيانا مقبول، ذلك "أنّ العبد متى ذكر الله بشيء من صفاته لم يكن مستغرقا في معرفة الله تعالى؛ لأنّه إذا قال يا رحمن فحينئذ يتذكر رحمته فيميل طبعه إلى طلبها فيكون طالبا للحصة، وكذلك إذا قال: (يا كريم، يا محسن، يا غفار، يا وهاب، يا فتّاح) وإذا قال (يا ملك) فحينئذ يتذكر ملكه وملكوته..." [48] وبمعنى آخر؛ يجوز أن نذكر الرحمن –على سبيل المثال– دون أن نقصد طلب الرحمة، لكن هذا الذكر يذكرنا بذاك الطلب، فيكون التلفظ إذا سابقا للقصد.

وأمثلة ذلك كثيرة جدّا في شعر سيدي لخضر بن خلوف:

لو صُبت يا غضيض التَّمَد نرجوا قدرة القيوم إذا راد[49]

الحـــلم يا مـــــولاي منّك شانك رفيع اسمـــك عادل[50]

دعات الكريم المولى

رفعت كفوفها للحيّ القهـــار ودعات ما دعـــــــاوا الرّسلا

....

رفعت كفوفهـــــــا ورغـــبـــــت مـــا خيّبـــــهاش ربّ العزّة[51]

1- يا ربي يا عظيـــــم يا خالـــــــق وفِّي احســـــن في مطلوبي[52]

2- غيثني بالحبيب يا علاّم الغيب مالك الملوك لا إله إلاّ هـــو[53]

أمّا عن الاستنباط من الأحاديث الشريفة؛ فهو متوفر بغزارة في شعر الشيخ، ومن ذلك قوله:

أمّي قبل بابا ســـــابق بها يُلد لي مشروبي

وأبي من وراها لاحق هو سمح عند ذنوبي[54]

استنباطا من الحديث الشريف: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحقُّ الناسِ بحُسن صحابتي؟ قال: "أمّك" قال: ثمّ من؟ قال: "أمّك" قال: ثمّ من؟ قال: "أمّك" قال: ثمّ من؟ قال: "أبُوك" متفق عليه) [55]

وعن فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلّم) يقول:

صلّوا على النبي يا حُضرة تظفّروا بالأجر والرّحمة[56]

عملا بالحديث الشريف: "عن عبد الله بنِ عمرو بنِ العاص، رضي الله عنهما أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من صلّى عليّ صلاة، صلى الله عليه بها عشْرا." (رواه مسلم) [57]

ومن المعجم الديني أيضا، يميل الشاعر إلى توظيف الألفاظ الدالة على الأزمنة والأمكنة المباركة؛ فيذكر ليلة هي خير من ألف شهر:

موجود ليلة القدر في لغراد أنت العـــــزيز يـــا محمد[58]

وتُسافر عواطفه شوقا إلى الأماكن المقدّسة فيشكو أمره قائلا:

باغي نزور مالي طـــاقة مكّة ضحات فرض عليّا[59]

ويذكرها في دعائه ومناجاته:

وبالحرمين والصفا والمروا اقبل يوم الحساب عُذري[60]

ولا ينسى ثاني وثالث الحرمين:

بحق البيت والمدينة والزيّار والبيت اللي عْرَج منها المختار[61]

إنّ الحديث عن المعجم الديني للشاعر المجاهد سيدي لخضر بن خلوف يستدعي حتما الحديث عن توظيف لفظة الجهاد وما يتعلق بها في شعره، كيف لا وهو من نظم قصيدة كاملة للتغني بمعركة مزغران الشهيرة، هذه المعركة التي خُلّدت بفضل أبياته وما حملته من تفاصيل وحقائق عن الواقعة.

إذا فالألفاظ الدالة على الجهاد كثيرة في شعر الشيخ، أذكر منها: (الفرسان، يسايس، الأبطال، السناجق[62]، غازية، الحرب، جاهد، جنة الميعاد) ولفظتي العرب والقوم أيضا لِما تحملانه من معاني الغيرة على القومية العربية التي تستدعي أحيانا الجهاد، وهذا في قوله:

شاب راسي من قوة ليعة الحـــمال مسطرين الفرسان ماشية وجاية

والخلوفي يناده ويسايس في الأبطال والعرب بالسناجق والقوم غازية[63]

وكذا:

يا تيجان الحرب ليس بعيد لمن جاهد جنة الميعاد[64]

هذه هي تجربة سيدي لخضر بن خلوف الروحية مختصرةً في عدد بسيط من أبياته الشعرية، التي شكّلت معجما دينيا غزير الألفاظ، والتي قد

تكون فيما تبقى من الأبيات أغزر، فهي فرصة –إذا– أتركها لمن أراد الاستزادة والاستفادة من قصائد الشيخ وتجاربه.

هوامش البحث:

1. أحمد سيّد محمد، البحث عن الشخصية من خلال الأمثال الشعبية، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر. العدد 65 (ذو الحجة 1401هـ – أكتوبر 1981م)، ص 56.
2. نفسه. ص 54.
3. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2006، ج 1، ص 39.
4. آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي (في ضوء المناهج الضوئية المعاصرة)، منشورات الاختلاف، ط 01، 2002م، ص 271.
5. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 65.
6. نفسه، ص 66.
7. نفسه، ص 89.
8. نفسه، ص 65.
9. سورة الصافات.
10. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 85.
11. سورة عبس.
12. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 47.
13. سورة الشمس.
14. أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 04، ص 116.
15. نفسه، ص 117.

16. نفسه، ص 118.
17. سورة آل عمران الآية 185.
18. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 70.
19. سورة التوبة الآية 100.
20. آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي (في ضوء المناهج الضوئية المعاصرة)، ص 275.
21. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1 ص 68.
22. نفسه، ص 97.
23. نفسه، ص 87.
24. نفسه، ص 81.
25. أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983 م، ص 128.
26. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 48.
27. نفسه، ص 66.
28. سورة المزمل.
29. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 74.
30. نفسه، ص 78، 79.
31. نفسه، ص 67.
32. نفسه، ص 70.
33. نفسه، ص 83.
34. نفسه، ص 85.
35. نفسه، ص 71.
36. نفسه، ص 74.
37. سورة الحاقة الآية 17.
38. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 75.
39. سورة البقرة الآية 136.
40. أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، ص 397.
41. سورة الأعراف الآية 180.

42. محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 01، 1425هـ – 1426هـ/2005م، ج 01، ص 141.
43. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 50.
44. سورة البقرة الآية 259.
45. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 74.
46. نفسه، ص 91.
47. انظر، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى –في ضوء الكتاب والسنة، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، ط 01، 1428 هـ/ 2007م، ص 7.
48. محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، ج 01، ص 137.
49. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1 ص 69.
50. نفسه، ص 70.
51. نفسه، ص 71.
52. نفسه، ص 70.
53. نفسه، ص 97.
54. نفسه، ص 70.
55. الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، ص 118.
56. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 73.
57. الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، ص 388.
58. سيدي لخضر بن خلوف –حياته وقصائده، ج 1، ص 67.
59. نفسه، ص 68.
60. نفسه، ص 74.
61. نفسه، ص 75.
62. السناجق: جمع سنجق وهو العلم أو اللواء الذي يرفع في الحرب.
63. نفسه، ص 39.
64. نفسه، ص 49.